موسى عليه السلام والعبد الصالح

من قصص السنة النبوية الشريفة ما ورد ذكره في القرآن الكريم وجاءت السنة فوضحت وفصلت ما يتصل به من أسبابٍ ومناسبات، ومن ذلك قصة موسى عليه السلام مع الخضر . .

قال الإمام البخاري رحمه الله : حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عمرو قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أنَّ موسى ليس بموسى بني إسرائيل. إنما هو موسى آخر فقال: كذب عدو الله.

حدثنا أبيّ بن كعب، عن النبي ﷺ قال: «**قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل، فَسُئِلَ: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أنَّ عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب، وكيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مكتل، فإذا فقدته فهو ثم. فانطلق، وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملا حوتاً في مكتل حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سربا، وكان لموسى وفتاه عجباً فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. ولم يجد موسى مساً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به. فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. قال موسى: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا. فلما أتيا إلى الصخرة إذا رجلٌ مسجى بثوبه. فسلم موسى فقال الخضر: وإني بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. فقال: موسى بني إسرائيل؟، قال: نعم. [ثمّ] قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علمٍ علمكه الله لا أعلمه، قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفورٌ**

obeikandl.com

فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر. فقال الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوحٍ من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قومٌ حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرَقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. قال: لا تؤاخذني بما نسيت، فكانت الأولى من موسى نسياناً، فانطلقا فإذا غلامٌ يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: قتلت نفساً ذكية بغير نفسٍ؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً» . قال ابن عيينة: وهذا أوكد. «**فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ، قال الخضر بيده فأقامه، قال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال: هذا فراق بيني وبينك..»** قال النبي ﷺ: «**يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما**»(1).

ولقد قص الله تعالى هذه القصة في سورة «الكهف»، وبيَّن ما أشكل على موسى عليه السلام فأنكر ظاهره ولكن الله جلت حكمته، قد أطلع الخضر على الحكمة الخفية من هذه الأفعال التي فعلها: من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

فأما عن السفينة، فإنه قد خرقها ليعيبها؛ لأنهم كانوا يمرون على ملكٍ ظالم يأخذ كل سفينةٍ صالحة وجيدة غصباً، فأراد أن يعيب السفينة حتى يرده عنها، فينتفعَ بها أصحابها المساكين، فإنهم لم يكن لهم من عملٍ أو موردٍ ينتفعون به سوى السفينة.

وأما الغلام: فقد جاء في رواية مسلم: وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً وكان أبواه قد عطفا عليه، فلو أنه أدرك أرهقهما طغياناً وكفرا فيحملهما على متابعته على الكفر، قال قتاده: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرضى أمرؤ بقضاء الله، فإنَّ قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرٌ له من قضائه فيما يحب كما في الحديث: «**لا يقضي الله لمؤمنٍ قضاء إلا كان خيراً له**»، وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216].

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 74) و(الحديث: 78) و(الحديث: 2267) و(الحديث: 4726) وأخرجه مسلم في (الحديث: 6113)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3149).

وأما الجدار: فأصلحه، لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً، وفي هذا دليلٌ على أنّ الله تعالى يحفظ للرجل الصالح ذريته من بعده، ويشملهم بعنايته ويكلأهم برعايته. ويحيطهم برحمته في الدنيا والآخرة. لتقرَّ عينه بهم.

ويفصل القرآن الكريم أسباب ما فعله الخضر فيقول عن لسانه لموسى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: 78-82].

فقد فعل ما فعل في الأحوال الثلاثة رحمةً من الله تعالى بأصحاب السفينة ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، ثم إنه ما فعله عن أمره ولكنه أمر به ووقف عليه..

ويستنبط من هذه القصة بعض العبر والدروس، التي لها أهميتها وأثرها في حياة الأفراد والجماعات، وفيما ينتفع به الناس في دنياهم وأخراهم.

ومن هذه الدروس الهامة: الدعوة إلى طلب العلم، واحتمال المشقة في سبيل تحصيله، ولا يمنع الإنسان من طلب العلم مكانته في قومه، أو منصبه في المجتمع، إذ إنّ طلب العلم فريضة، فموسى عليه السلام، لم يمنعه من طلب العلم كونه نبياً، ولم يمنعه بلوغه فيه ما بلغ.. فقد رحل وسافر وركب البحر وتحمل المشاق، من أجل أن يحصل على ما لم يعلمه.. ولقد كان طلب العلم والرحلة من أجله أشهى أماني سلفنا الصالح، وكم تحملوا في سبيله ما تحملوا من شظف العيش. وخشونة الحياة، قال رسول الله ﷺ: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة»**(1).

وفي هذه القصة من الدروس ما ينبغي أن يراعيه العالم، فإذا ما سُئِل: أي الناس

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6793).

أعلم؟ فعليه أن يكل العلم إلى الله العليم الحكيم الذي أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيءٍ علماً.. كما ينبغي للمتعلم أن يتواضع في طلب العلم، مهما كانت مكانته، فموسى عليه السلام وقف من العبد الصالح موقف المتعلم المتواضع، فاستأذنه في اتباعه ليتعلم منه قائلاً له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66].

وإذا ما بدرت منه بادرة أسرع بالاعتذار، وأبدى حسن الطاعة، تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع ومكارم الأخلاق.

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة كذلك: أن في العديد من حادثات الحياة التي يتبرم بها الناس خيراً لا يعلمونه وأسراراً لا يتطرق إليها فهمهم، ولا يعلمها إلا علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى.. والذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.. كما أنَّ في العديد من الأمور التي يفرح لها الناس، شراً مستطيراً، وخطراً كامناً قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

ومن هنا يظهر أثر الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، كركن هام من أركان الإيمان.. كما أن الله تعالى، يصون عقيدة الإنسان المؤمن المخلص، فلا يتركه في مهب الفتن وعواصف الأحداث، وإنما يبعد الله عن طريقه أسباب الضلال والضياع. ما دام مخلصاً لربه صادقاً في إيمانه، فقد شاء الله تعالى للغلام أن يُقتل، لأنه إن عاش سيرهق والديه طغياناً وكفرا؛ لأن الآباء مفطورون على محبة الأبناء. وقد يطغى فساد الابن على صلاح الوالدين فيكون سبباً في كفرهما وطغيانهما، ففي الأبناء فتنةٌ للآباء.

ومن دروس هذه القصة أيضاً: المحافظة على أموال اليتامى والمساكين، وأنَّ الله تعالى يرعاهم ويرزقهم، ففي تشويه السفينة نجاةٌ لها من الغصب حتى تبقى ملكاً للمساكين الذين يعملون عليها.

ومن العبر كذلك: أن للبيئة الصالحة المستقيمة أثراً بالغاً في حياة أبنائها، وأن الله تعالى يتولى ذرية الصالحين إذا كانوا مؤمنين واتبعوا منهج الحق وساروا على الجادة، ولا تلحقهم فتن الحياة ولا فسادها الذي يستشري بين الناس، بل يمهد الله

للأبناء طريق الخير والهناء ويذلل لهم الصعاب حتى تسير بهم الحياة آمنة مطمئنة..

فعلى المجتمعات البشرية، أن تهتدي بهدي الكتاب والسنة وتسير على صراط ربها المستقيم، منتهجة منهج الحق، آخذة من العطاء الغامر الذي يفيئه القرآن الكريم، وتفيض به السنة الشريفة حتى يفتح الله عليه بركات من السماء والأرض، والله ذو الفضل العظيم.

obeikandl.com

افضل خصال الإسلام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: **«تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»**[1].

يتكون الإسلام من شُعَب كثيرة وخصال حميدة، وقد جاء منها في هذا الحديث شعبتان. **الأولى**: إطعام الطعام. **والثانية**: إقراء السلام.

وقد جاء في أحاديث أخرى بعض شعب أخرى منها قوله ﷺ: **«الإيمان بضع وستون ـ أو ـ بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[2].

وهكذا.. نرى أن للإيمان شعباً وأن بعضها يفضل بعضاً، ويترتب على ذلك زيادة إيمان المؤمن أو نقصه، ومدى قربه من ربه أو بعده، فكلما زادت هذه الشُعَب وكانت أكثر وكان صاحبها يتحلى بأعظمها كان أكثر إيماناً، وكان أقرب من ربه سبحانه وتعالى.

وكلما نقصت هذه الشعب وكانت أقل، أو كان صاحبها لا يتحلى بالكثير منها، وبالخصال الحميدة كان أقل إيماناً وأبعد من ربه. وإجابة الرسول ﷺ للسائلين والمستفسرين من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم كانت مطابقة لمقتضى الأحوال فيخاطب ويجيب كل جماعة بما هو أجدى لهم وأنفع، ففي حديث آخر عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»**[3].

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 159).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 9)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 151)، وأخرجه أبو داود في الحديث: 4676)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2614)، أخرجه النسائي في (الحديث: 5019)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 57)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 414) و(الحديث: 2/ 445).

(3) أخرجه البخاري في (الحديث: 11)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 162)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2504)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 5014).

obeikandi.com

وهكذا فهو يجيب كل سائل في كل وقت بما يكون أفضل في حق السامع أو السائل أو أهل المجلس الذين يحدثهم، فربما يكون ظهر من أحدهم قلة مراعاته ليده ولسانه وإيذاء المسلمين، وربما يكون ظهر من الآخر إمساك عن الطعام والبعد عن السلام أو ما فيه استعلاء، فأجابه على حسب حاله، وقد يكون السائل الثاني يهدف من وراء سؤاله إلى معرفة أفضل المنهيات والأمور التي يجب عليه تركها فأجابه بقوله: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

ويكون الأوّل سأل ليعرف خير الأعمال وأفضلها، فأجابه بإطعام الطعام وإقراء السلام. ومن المعلوم أن الإطعام مستلزم لسلامة اليد، والسلام لسلامة اللسان.

وهاتان الخصلتان المذكورتان في الحديث هما من الأهمية بمكان بحيث يترتب عليهما صلاح المجتمع حسياً ومعنوياً.

وذلك أن مكارم الأخلاق وشُعَب الإيمان منها ما هو مالي: كالإنفاق والإطعام، ومنها ما هو بدني: كصنعة الخير ومعاونة الضعيف، ومنها ما هو قولي: كإقراء السلام. وهاتان الخصلتان حث عليهما رسول الله ﷺ أول ما دخل المدينة، كما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن سلام قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه فكنت ممن جاءه، فلما تأملت وجهه واشتبهته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[1].

فأفضل تلك الخصال: إطعام الطعام الذي به قوام الأبدان، وأفضل الأقوال في البر والإكرام هو إفشاء السلام لمن عرفه الإنسان ومن لم يعرفه ليكون خالصاً لله تعالى بعيداً عن الرياء، فالسلام هو شعار الإسلام.

وقد قال في الحديث: «تطعم الطعام»، ولم يقل: تأكل ونحو ذلك من الألفاظ؛ لأن كلمة الإطعام عامة تشمل الأكل والشرب والذوق. وجاء التعبير النبوي بالإطعام عاماً غير مقيد ولا مخصوص يشمل الإنسان والحيوان والمسلم وغير المسلم،

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2485) و(الحديث: 3251)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1334)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 451).

والإطعام الواجب والإطعام المستحب، وإطعام الفقراء وإطعام غيرهم من الأهل والضيوف والجيران وهكذا.. فتقدير الكلام أن تطعم الخلق الطعام ولكن حذف المفعول ليعم.

كما أنه قال: «وتقرأ السلام»، ولم يقل: وتسلم ليشمل السلام الذي يبعثه المسلم بالكتاب والسلام الذي يلقيه مشافهة على أخيه وهكذا... إن السلام تحية المسلمين، وشعار الإسلام.

إنها إذاً لشعبتان من أهم شعب الإيمان التي ينبغي على المؤمنين أن يتمثلوهما، أما الشعبة الأولى وهي إطعام الطعام: فلها آثارها البعيدة في حياة الفرد والمجتمع، وفي دنيا الإنسان وآخرته.

وإنها تعمل على تأليف قلوب الناس، وغرس الألفة والمحبة بينهم، كما قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

وإنها لتمثل أهم جوانب البذل والإنفاق فهي بذلك برهان صادق على صحة إيمان صاحبها كما قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «**والصدقة برهان**»(1).

وإنها لتعني: البذل والسخاء، والسخاء أثره البالغ في جعل صاحبه قريباً من الله ومن الناس ومن الجنة، ويجعله بعيداً عن النار قال ﷺ: «**إن السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل..**»(2).

ولقد سجل القرآن الكريم ثناء رب العزة سبحانه وتعالى على أولئك الصحابة الكرام الذي آثروا إخوانهم بالخير وإطعام الطعام، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 533)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3517)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 5/ 342) و(الحديث: 5/ 343)، وأخرجه **الدارمي** في «سننه» (الحديث: 1/ 167).

(2) ذكره **الزبيدي** في إتحاف السادة المتقين» (الحديث: 8/ 176).

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴿٩﴾﴾.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: أنه نزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام، وهو لا يكفي إلا واحداً وليس عنده غيره، وأمر امرأته بإطفاء السراج، وجعل يمد يده في الطعام كأنه يأكل ولا يأكل. فأكل الضيف الطعام الذي قدمه إليه فلما أصبح قال له الرسول الكريم ﷺ: **«لقد عجب الله من صنيعكما الليلة إلى ضيفكم»**[1]، ونزل قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

لقد وعى سلفنا الصالح وصحابة رسول الله ﷺ قيمة البذل والكرم، فكانوا سباقين للخيرات بإذن الله، وكيف لا وقد رأوا رأي العين قدوتهم وأسوتهم الحسنة رسول الله ﷺ وهو أجود بالخير من الريح المرسلة، فكانوا على الدرب سائرين ولأعماله مقتدين وهو الذي رغبهم في الخير وكشف لهم عن ثواب ذلك في الآخرة فقال ﷺ: **«أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من خضر الجنة»**[2].

وقال الإمام علي كرم الله وجهه: يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً، لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة، فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، وما هو خير منه.

ذلك أنه لما أتى بسبايا طيء، وقفت جارية في السبي فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم الطائي، فقال رسول الله ﷺ: **«يا جارية، هذه صفة**

(1) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (الحديث: 6/ 195)

(2) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2449).

المؤمنين حقاً ولو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه خلو عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»[1].

فقام أبو بردة بن نيار، فقال: يا رسول الله، آلله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يُدخل الجنة إلا حسن الأخلاق**»[2].

وأما الشعبة الثانية، وهي: «إقراء السلام»، فلها كذلك أبعد الآثار في حياة الفرد والمجتمع وفي دنيا الإنسان وآخرته.

إن إقراء السلام هو تحية الإسلام التي تميز بها هذا الدين الحنيف. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: 86].

وجمهور المفسرين على أن هذه الآية قد وردت في السلام، وهي تدل على أن الجواب واجب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه «ورحمة الله»، فإن قال المسلم: السلام عليك «ورحمة الله»، زاد في الجواب عليه قوله: «وبركاته» وهي النهاية، وإما أن يرد بمثل تحيته. وقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك، فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله**»[3].

وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته**». وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: «**وعليك**»، فقال الرجل: نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية. فقال ﷺ: «**إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله**».

والسلام هو تحية الملائكة للمتقين عند دخول الجنة كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: 73].

وهو أيضاً تحية الختام للقاء الروحي المتكرر في اليوم والليلة خمس مرات في الصلاة.

---

(1) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (الحديث: 5/ 341)، وذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (الحديث: 7/ 94).
(2) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين» (الحديث: 7/ 94).
(3) أخرجه مسلم في (الحديث: 6309).

والسلام كذلك شعار الإسلام، بالنسبة للدين الإسلامي نفسه، وبالنسبة للإنسان المسلم.

فأما بالنسبة للدين الإسلامي ففيه إظهار الدين وإعلان آدابه وإذاعة صوته وتحيته وندائه، وإشاعة الأمان الذي يستهدفه، والرحمة التي هي جوهره، والبركة التي تعود على المتمسكين به المعتصمين بحبل الله جميعاً.

وأما بالنسبة للإنسان المسلم فهو بإقراء السلام وإفشائه وإلقائه على إخوانه إعلام بأنه مسلم إذا وجد في بيئة فيها المسلمون وغير المسلمين. فهو بالسلام يتعين أمام الناس فيعرفونه ويعاملونه على ذلك ويتضح أثر إفشاء السلام بالنسبة للفرد في احترام دينه وصيانة حقوقه بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء: 94].

وروي أن سرية غزت أهل فدك فهربوا وبقي «مرداس» ثقة بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى ناحية من الجبل وصعد، فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه. فما أقرهم الرسول ﷺ على فعله؛ لأن الرجل شهد الشهادتين وقال: السلام عليكم، ولا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب.

وفي إفشاء السلام تطبيق لخلق التواضع بين المسلمين، وتأليف لقلوبهم وتصفية للنفوس وغرس للود بين الناس، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «**ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه**»(1)، وقال: «**أولا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم**».

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ حرص الصحابة على معرفة أمور دينهم، ومعرفة أفضل الأعمال للتقرب إلى الله.

---

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 3/ 429)، وأخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (الحديث: 8/ 82).

2 ـ إجابة الرسول ﷺ لكل سائل ولكل جماعة بما يناسبهم ويطابق حالهم.

3 ـ إن الإيمان يزيد وينقص بزيادة شعبه ونقصها بالنسبة للمسلم.

4 ـ التفاضل بين شعب الإيمان وخصال الخير وأن منها ما هو أفضل من غيره.

5 ـ فضل إطعام الطعام وإقراء السلام.

6 ـ دعوة الإسلام إلى ما فيه صلاح الفرد والمجتمع.

obeikandl.com

القائم على حدود الله
والواقع فيها

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**»[1].

المفردات:

(مثل القائم في حدود الله): معنى المثل: الصفة، وهذه الجملة من التشبيه المركب، ويسمى: تشبيه التمثيل وهو تشبيه حالة بحالة، ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من عدة أمور والمعنى: أن حال القائمين في حدود الله والواقعين فيها كحال أصحاب السفينة... إلخ.

(الحدود): المراد بها في الحديث: المحارم التي نهى الله عنها، وقيل: المراد بها ما حده الله من عقاب الدنيا للعاصين كجلد الزاني وقطع يد السارق، ويكون المراد بالقائم فيها على هذا المعنى ولاة الأمور.

(والقائم على حدود الله): هو الذي يتصدى لإزالتها، المراقب لها بأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

(والواقع فيها): هو المرتكب لها، التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(استهموا): أي: اقترعوا.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 2493).

(استقوا): أي: إذا طلبوا الماء وأرادوا السقيا.

(نجوا ونجوا جميعاً): نجوا الأولى لمن كان في أعلى السفينة وهم الآمرون بالمعروف، ونجوا الثانية بمعنى: إنهم نجوا غيرهم ممن همَّ بخرق السفينة.

(جميعاً): حال من فاعل الفعلين.

المعنى:

إن القائم على حدود الله هو المراقب لها، بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإن الواقع فيها هو الذي ترك الأمر بالمعروف، وارتكب المنكر.

ومثل هذين كمثل قوم اقترعوا على سفينة مشتركة بينهم تنازعوا في الإقامة فيها، بين المكان الأعلى والمكان الأسفل، فأصاب بعضهم عن طريق القرعة أعلى السفينه، وأصاب البعض الآخر أسفلها، فكان الفريق الذي في أسفل السفينة إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، وفي رواية: «**فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به**»، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ ـ أين لم نضر ـ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا من الخرق في نصيبهم هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً.

وهكذا الحال بالنسبة لإقامة الحدود تحصل بها النجاة لمن أقامها، ولمن أقيمت عليه، وأما إذا لم تقم فإن العاصي يهلك بمعصيته، وإن الساكت عن المنكر يهلك بسكوته؛ لأنه راض على المعصية مقر بوضعها.

وفي هذا التوجيه النبوي الحكيم إرشاد للمجتمع الإسلامي أن ينشد أفراده الخير لأنفسهم ولإخوانهم، ويحققوا خَيْرِيَّتهم على الأرض، أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وإيماناً بالله قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

وقد بينت السنة الشريفة مراتب النهي عن المنكر وتغييره، وأنها تبدأ أولاً باليد ثم باللسان ثم بالقلب، قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع**

فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(1)، وهذه المرتبة الأخيرة تظهر حين يغضب المسلم لغضب الله، فينأى عن مرتكب المنكر ولا يتخذ منه صاحباً ولا يتعامل معه، فإن استطاع المجتمع أن يهمل مرتكب المنكر ويزدريه من قلبه، فإنه يرى حينئذٍ أنه أصبح منعزلاً فيستشعر ذنبه، ويكون للرأي العام هنا أثره في إصلاحه وتغيير المنكر بالنسبة له.

أما إن سكت أفراد المجتمع عن المنكر، وتركوه يستشري فيهم وتنتقل عدواه من شخص لآخر، فإنه سيترتب على ذلك هلاك العاصين والصالحين معاً، أما العاصون فيهلكون بعصيانهم، وأما الصالحون فبسكوتهم، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25]، وإن عدم القيام بالنهي عن المنكر ذنب كبير، يصبح به صاحبه ملعوناً مطروداً من رحمة ربه، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: 78، 79].

ويستفاد من هذا الحديث ما يأتي:

1 ـ توضيح الأمور المعنوية بالمحسوسة لتقريبها إلى العقول.

2 ـ صحة إجراء القرعة فيما يختلف الناس فيه من أمور.

3 ـ مسؤولية الفرد والجماعة والأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران: 104].

4 ـ شدة خطر المنكر، وما يترتب عليه من عواقب وخيمة تشمل الصالح والطالح إذا ترك المنكر دون مقاومة، ولم يأخذ الناس على أيدي أصحابه.

عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: يا أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 175)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1140)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2172)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 5023)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 1275).

obeikandi.com

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105]. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»[1].

5 ـ ينبغي على المسلم أن يصبر على أذى جاره إذا خيف وقوع ما هو أشد ضرراً.

6 ـ جواز أن يقسم العقار المتفاوت عن طريق القرعة. قال ابن بطال: والعلماء متفقون على القول بالقرعة إلا الكوفيين فإنهم قالوا: لا معنى لها؛ لأنها تشبه الأزلام التي نهى الله عنها.

(1) أخرجه أبو داود في (الحديث: 4338)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2168).

obeikandl.com

كرم وإيثار

قال عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ: لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت، نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمٰن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع. قال: فغدا إليه عبد الرحمٰن فأتى بأقط وسمن. قال: ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمٰن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ: «**تزوجت؟**»، قال: نعم، قال: «**ومن؟**»، قال: امرأة من الأنصار. قال: «**كم سقت؟**»، قال: زنة نواة من ذهب، أو نواة من ذهب. فقال له النبيّ ﷺ: «**أولم ولو بشاة**»[1].

إن نماذج الأخوة الإسلامية التي أرستها العقيدة وكونها الإسلام ووثق روابطها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، كانت تمثل أسمى القِيَم وأرفع الفضائل وأنبل الأخلاق والسجايا. وحسب هذه المؤاخاة نجاحاً وتوفيقاً، ما أثمرته لدى الأنصار من الآثار التي ستظل مضرب الأمثال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي هذا الحديث نموذج من نماذج الإيثار، فقد آخى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بين عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن الربيع. وكان سعد أكثر الأنصار مالاً، وكان له زوجتان، فدفعته أخوة الإسلام التي سَمَتْ على أخوة العصب والدم، فقدم إلى أخيه عبد الرحمٰن ما تعز به النفس البشرية، وما يضن به الشقيق على شقيقه، عرض عليه المال، ولكن في أية صورة، أيعطيه مبلغاً من ماله أو جزءاً منه أو ربعه أو ثلثه لا، وإنما قدم له نصف ما يملك، ثم لا يكتفي بالمال، وإنما يعرض عليه أي زوجتيه أراد فينزل عنها، فإذا حلت تزوجها... إنه حقاً لمثل فريد في الإكرام والإيثار: مثل جل عن النظير في دنيا الناس، وفي تاريخ المعاملات الإنسانية، والمكرمات الأخوية بين بني البشر.

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 2048) و(الحديث: 2049).

ولكن عبد الرحمٰن بن عوف أبى ذلك، ودعا لأخيه بالبركة في أهله وماله قائلاً له: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأجابه على ما عرض عليه بقوله: «لا حاجة لي في ذلك»، ثم سأل عن السوق ليعمل بالتجارة فدلوه، فتابع الغدو، فاشترى وباع فربح، فجاء بشيء من سمن وأقط وتزوج. فلما جاء عبد الرحمٰن ورأى النبيّ ﷺ بشاشة العرس والطيب، قال له: «**أتزوجت؟**»، قال: نعم، فقال له: «**من؟**»، قال: امرأة من الأنصار، قال: «**كم سقت؟**»، قال: زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب. فقال له النبيّ ﷺ: «**أولم ولو بشاة**».

ويستدل بهذا على تأكيد أمر الوليمة، وعلى استحباب المؤاخاة وحسن الإيثار من الغني للفقير.

وفي هذا دلالة على فضيلة سعد بن الربيع، وما ضرب به من أروع المثل في الإيثار. وفضيلة عبد الرحمٰن بن عوف وما ضربه من أروع الأمثلة في علو الهمة وعزة النفس والرغبة في العمل والكسب. وإن العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى لنزاهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها.

لقد استحق الأنصار بفضل إيمانهم القوي وإيثارهم النادر أن ينزل في شأنهم قرآن يتلى، شاهداً لهم بالفوز والفلاح: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: 9].

وقال رسول الله ﷺ في شأنهم: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**».

ولقد فتح الله تعالى على عبد الرحمٰن بن عوف بعد ذلك، فما لحق بربه إلا وكان من أثرى الناس وأكثرهم مالاً، كريم النفس بعيداً عن الشح باذلاً للمعروف محباً للخير.

عن سعيد بن جبير، عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهمّ قني شح نفسي لا يزيد على ذلك، فقلت له؟ فقال: إني إذ وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن، ولم أفعل. وإذا الرجل عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ.

ولقد توج القرآن أولئك المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، بتاج الرضا والسعادة في الدارين.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

تلك هي نماذج سلفنا، وهكذا كانت حياتهم مترعة بالفضائل، بعيدة عن الرذائل، مشرقة بالإيثار والبذل والعطاء، فوسعوا الناس بقلوبهم وصدورهم قبل أموالهم وديارهم، فأين هذه الفضائل العالية، والقيَم المثلى من الأثرة والأنانية وحب الذات وغير ذلك مما ضاقت به حياة المجتمعات المادية اليوم.

إن للأخوة الإسلامية حقوقاً وواجبات يجب على الأفراد والجماعات أن يقفوا عليها، وأن يتمثلوا مبادئها، وأن يسيروا على هداها.

فيوم يشعر المسلم من أعماقه بأخوة أخيه المسلم مهما بعدت الديار، وتعددت اللغات والأشكال، يوم أن تتجاوب مشاعر الإيمان بينهم، فتتهلل حياتهم بالتعاطف وتشيع بينهم المودة، ويصبح الجميع بنعمة الله إخواناً.. إن سر هذا الإيثار والتأليف بين القلوب إنما هو الإيمان بالله، فهو سبحانه الذي ألف بين قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)﴾ [الأنفال: 62، 63].

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ مكانة الأخوة الإسلامية وحقوقها العظيمة.

2 ـ منقبة لعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن الربيع.

3 ـ الكرم والسخاء بين الإخوة المسلمين.

4 ـ فضل العمل وأهميته في الإسلام.

5 ـ مشروعية الوليمة عند الزواج.

احفظ الله يحفظك

عن أبي العباس عبد الله بن عباس ﷺقال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أنْ يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفي رواية غير الترمذي: **«احفظ الله تجده أمامك تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الكرب وأنَّ مع العسر يسرا»**[1]. توجيهٌ نبويّ حكيم فيه الحفظ والعون، وفيه البِشْر والفرج، إنه منهج حياة، وطريق سعادة، يرسي هذا المنهج الحكيم الرسول العظيم الذي لا ينطق عن الهوى..

وراوي هذا الحديث، صحابي جليل، يؤكد صحة ما سمع، ويوضح مكانه وقربه من الرسول ﷺ، وهو يعلمه هذا المنهج الرائع، يعلمه وهو في مقتبل عمره، إنه غلام وسوف يواجه مراحل من الحياة مختلفة، وستلقاه الحياة بأشكالٍ شتى من عسرٍ ويسرٍ وفرجٍ، والخلاص من عوائق الحياة وظروفها وأزمتها وشدتها إنما هو في المحافظة على حدود الله، وأوامره ونواهيه، وقد امتدح القرآن الكريم كل حفيظٍ لهذه الحدود، قال الله تعالى:

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق:32، 33]. والمحافظة على الصلاة مطلوبة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون:9] والمحافظة أيضاً على الأيمان: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89] وهكذا

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2516).

كالمحافظة على الفروج ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: 5] إن المحافظة على أوامر الله ونواهيه فيها المحافظة على العبد من ربه والجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: 40] وقال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: 152] وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: 7]. وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته ويتمثل ذلك في حفظ ذريته كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف:82].

ومن حفظ الله للعبد حفظه في حياته من الشبهات والضلالات والشهوات وكل ما هو حرام: وفي الحديث القدسي عن أنس، عن النبي ﷺ: «**يقول الله ﷻ: إنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر وإن بسطت عليه أفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من يطلب باباً من العبادة فأكفه عنه لكيلا يدخله العجب، إني أدبّر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم إني عليمٌ خبير**» أخرجه الطبراني.

إذا فكل شيءٍ قد كتبه الله وقدره فمهما يصنع البشر فلن يستطيعوا أن يغيروا شيئاً مما قدره الله، بل إن ما قدره الله للعبد هو الخير. والناس كل الناس أعجز ما يكون أن ينفعوا عبداً إلا بما كتبه الله له أو أن يضروه إلا بما قدره الله وكتبه عليه، وقد عبَّر الحديث عن هذا التقدير الإلٰهي والتدبير المحكم بقوله: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٢٢﴾ [الحديد:22]، وقال ﷺ جواباً لمن قال له: يا رسول الله ففيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ فقال ﷺ: «**لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**»، قال: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

وقد رأينا في روايةٍ أخرى للحديث بأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، وهذا يعطينا دلالةً واضحةً لا لبس فيها بأن الله قادرٌ على كل شيء. قادر على تغيير الأوضاع وتبديل الأحوال، وكشف الأزمات، وتفريج الكروب، ولكن متى يكون؟ عندما يتعلق القلب بالله ويعتمد على ربه ويتوكل عليه كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:3].

obeikandi.com

ولطالما قص القرآن الكريم من قصص تفريج الكروب حين تتناهى، مثل: نجاة نوح ومن معه في الفلك، ونجاة إبراهيم من النار وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، ونجاة موسى وقومه من الغرق وإغراق عدوهم، وموقف أيوب وموسى، وقصة سيدنا محمد ﷺ مع أعدائه ونجاته منهم في الغار ويوم بدر وأحد والأحزاب وغير ذلك.

إنَّ الحديث بهذا المنهج الرائع يرسم صورة مشرقة لحياة المؤمنين الذين يرتبطون بخالقهم، فيحيون سعداء آمنين لهم النجاة في الدنيا من كل كرب والسعادة في الأخرى بجنةٍ عرضها السمٰوات والأرض.

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ الجزاء من جنس العمل.

2 ـ إنَّ من حافظ على حدود الله وشرعه حفظه الله.

3 ـ لا سؤال إلا لله، ولا استعانة إلا بالله فهو وحده المعبود والمقصود.

4 ـ كل شيءٍ بقضاء الله ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

5 ـ من تعرف على ربه بالصالحات في الرخاء كان الله معه في الشدة.

من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين

عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله ﷻ معطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»**[1].

راوي هذا الحديث: هو الصحابي العظيم، معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب كاتب الوحي لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وله فضائله الكثيرة ومناقبه الجمة، وكانت وفاته في شهر رجب سنة ستين، وتوفي عن ثمانية وسبعين سنة، وله في البخاري ثمانية أحاديث وقوله: سمعت رسول الله ﷺ، أي: سمعت كلامه، أي: إن مفعول سمعت محذوف تقديره: «كلامه» : «يقول..» في محل نصب حال: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**، والمراد بالإرادة أنها صفة تخصص أحد طرفي الممكن بالوقوع، و**«خيراً»** مفعولٌ به وهي نكرة وقعت في سياق الشرط فتفيد العموم، فالمعنى: من يرد الله به جميع الخيرات، أو أنَّ التنكير للتعظيم وعلى ذلك يكون المعنى: من يرد الله به خيراً عظيماً ومعنى «يفقهه في الدين» أي: يفهمه، فالفقه في اللغة: الفهم، ويقال: فقه بالكسر إذا فهم، وبالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وبالضم إذا صار الفقه له سجية، وهو مختص بعلم الفروع لاستنباطه بالأدلة والنظرة الدقيقة، والمناسب في الحديث حمله على المعنى اللغوي، ليعلم كل فقهٍ في الدين ومفهوم الحديث: إن من لم يتفقه في الدين ويتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع وغيرها فقد حرم الخير كله، وهذا يوضح لنا مكانة العلماء ومنزلتهم وفضلهم على سائر الناس، ولفضل تعلم أمور الدين وتفهمها قال عمر بن الخطاب ﷺ: تفقهوا قبل أن تسودوا، أي: لأنه ربما منعتكم السيادة من التفقه، ولا ينافي هذا القول أنه ينبغي التفقه بعدها أيضاً: **«وإنما أنا قاسم»**، أي: أقسم بينكم ما أوحي إليّ مما أمرت بتبليغه

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 71).

obeikandi.com

إليكم، ولا أخص به بعضاً دون بعض «والله يعطي» أي: يعطي الله الفهم للناس كل إنسان على قدر ما تعلقت إرادة الله تعالى به، فيتفاوتون في الفهم منه سبحانه، ولقد كان البعض سمع الحديث فيفهم الظاهر منه ويسمعه آخر، فيستنبط المسائل الكثيرة منه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فالرسول ﷺ يسوي بينهم في إلقاء العلم، والله تعالى يعطي كلاً منهم من الفهم على قدر ما أراد الله، وقيل: الواو في قوله: «**وإنما أنا قاسم**» للحال من فاعل يفقهه، والمعنى: أنَّ الله يعطي استعداداً لدرك المعاني على ما قدَّر ثم يلهمني بإلقاء ما هو لائق باستعداد كل واحد. وقيل: المراد قسمة المال؛ لأن مورد الحديث كان عند قسمة مال فخص بعضهم بزيادة لمقتضى ذلك، فاعترض البعض ممن خفيت الحكمة عليه فرد عليه بقوله: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، فالرسول ﷺ قاسم بأمر الله وليس معطياً حتى تنسب إليه الزيادة والنقصان، والحصر في الحديث بـ«إنما» إنما هو حصرٌ إضافي؛ لأن له صفاتٌ أخرى سوى القسم وإن اعتقد الجمع بين الوصفين فهو حصر الإفراد ولن تزال هذه الأمة قائمةً على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

والمراد بهم: أهل العلم بالآثار، وقال الإمام أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، أي إنه يرجح أنهم أهل الحديث، وقيل: أراد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث ويحتمل - كما قال النووي - أن تكون هذه الطائفة فرقةٌ من أنواع المؤمنين، ممن يقيم أمر الله من مجاهدٍ وفقيهٍ ومحدثٍ وزاهدٍ وآمر بالمعروف، وغير ذلك من أنواع الخير ولا يلزم اجتماعهم في مكانٍ واحد، بل يجوز بأن يكونوا متفرقين، والمراد بمجيء أمر الله: هو يوم القيامة وأما المراد بأمر الله الذي ورد أولاً في الحديث في قوله: «**قائمة على أمر الله**» أي: التكاليف، ومعلومٌ أنَّ يوم القيامة ليس زمان تكليف، وأما أمر الله الثاني الوارد في قوله: «**حتى يأتي أمر الله**»، إما أن يكون يوم القيامة وتكون الغاية في قوله: «حتى» لتأكيد عدم المضرة، أو المراد به: بلاء الله والمراد به: فتنة الدجال وقيل المراد به: الريح اللينة التي تأتي قبل يوم القيامة فتقبض روح كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فلا تعارض حينئذٍ بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقول أحدٌ الله الله**» ولا تعارض بينه أيضاً وبين الحديث: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**»، لأنَّ تلك الريح تأتي قريب يوم القيامة وما هو في هذين الحديثين عند القيامة.

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ فضل التفقه في الدين.

2 ـ أن المعطي في الحقيقة هو الله تعالى.

3 ـ أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً.

4 ـ محبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه لأمته ورفقه بهم، وعطفه عليهم.

5 ـ أن الناس يتفاوتون في أفهامهم، فمنهم من يفهم من الحديث ظاهره ومنهم من يستنبط الأحكام الكثيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

6 ـ أهمية العلم وفضله وفضل التفقه فيه ليحظى العبد بسعادة الدنيا والآخرة، إذ به يتعرف المسلمون على الحلال والحرام ويفهمون أمور دينهم على حقيقتها.

obeikandl.com

أحب الأعمال إلى الله أدومها

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال: قلت: يا أم المؤمنين، كيف كان عمل رسول الله ﷺ هل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع؟.

قال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، حدثنا سعد بن سعيد، أخبرني القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**»[1]، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته.

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة ﵂: أن النبيّ ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال: «**من هذه؟**»، قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «**مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا**»[2]، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

المعنى:

جاء في رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بني أسد، وفي رواية الإمام مسلم أنها الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى، من رهط خديجة أم المؤمنين ﵂ ونقل عنها أنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة ﵂ للمرأة ومدحها لها مع النهي عن المدح، فلعلها أمنت عليها الفتنة فلذلك مدحتها في وجهها، ولكن رواية حماد بن سلمة عن هشام في هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة. أخرجه الحسن بن

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 1827).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 43).

سفيان في مسنده من طريقه ولفظه: كانت عندي امرأة فلما قامت قال رسول الله ﷺ: «**من هذه يا عائشة؟**»، قلت: يا رسول الله، هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة. الحديث.

كلمة (**مه**) مبنية على السكون وهي اسم فعل بمعنى: اكفف وهذا النهي متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت، كما يحتمل أن يكون نهياً عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله. وقد قال بعض الأئمة بكراهة صلاة جميع الليل. ومعنى «**عليكم بما تطيقون**»: أي: افعلوا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه ومنطوقه يقتضي الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما يطاق، ولأن كان سبب ورود هذا الحديث خاصاً بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاماً في قوله: عليكم مع أن المخاطب النساء، ومعنى «**لا يمل الله حتى تملوا**» و«الملل»: هو استثقال الشيء والنفور عنه بعد محبته.

وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة لله تعالى، بل هو محال، ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]. وقال الهروي معناه: لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه. وقيل: إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير: لا يمل وتملون، والأولى أنه من باب المقابلة، ومعنى «أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه» فمعنى المحبة من الله تعالى: إرادة الثواب أي: أكثر الأعمال ثواباً أدومها؛ لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق، فإن العمل الدائم ولو كان قليلاً ينمو ويصبح أكثر من الكثير المنقطع، أما الذي يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل.

ولطالما وجه الرسول ﷺ المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله: «**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»[1]، وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟**»، فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «**فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن**

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 3243)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 2618).

obeikandl.com

لجسدك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك ـ أي لضيفك ـ **عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها...**»[1].

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد في الأمور كلها لا إفراط ولا تفريط. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: 31]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: 67]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. وقال ﷺ: «**هلك المتنطعون**»[2]، أي: الذين يبالغون ويتشددون في الأمور. وقال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا**»[3].

وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلاميه على اليسر فمعروف أن العمل القليل الذي يكون صاحبه منشرح الصدر نشيطاً للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه بصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح. وقد ذم الله تعالى من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها، فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27].

وكثيراً ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم احتقار اليسير منها. قال عليه الصلاة والسلام: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**»[4]، والفرسن: هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف.. وقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

وقد قاوم الرسول ﷺ الذين يغالون في أعمالهم. روى أنس ﷺ أن النبيّ ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «**ما هذا الحبل؟**»، قالوا: هذا

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1975)، و(الحديث: 5199).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6725)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4608).

(3) أخرجه البخاري في (الحديث: 39)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 5049).

(4) أخرجه البخاري في (الحديث: 2566)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 2376)، وأخرجه الإمام مالك في (الحديث: 1928).

ogelkandil.com

حبل لزينب تقوم تصلي فإذا فترت قامت فتعلقت به. فقال النبيّ ﷺ: **«حلوه»**، ثم قال: **«ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»**(1).

كما روى أنس ﷺ أيضاً قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النبيّ ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ـ أي عدوها قليلة ـ وقالوا: أين نحن من النبيّ ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **«أنتم الذي قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**(2).

وقد حكى أن قوماً أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعاونهم على أداء دية لزمتهم، فنظروا إليه فرأوه وهو في البستان يجمع ما يتساقط من الثمر ويميز بين الجيد والرديء. فلما انتهى من عمله سألوه ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم: لقد داخلنا بعض الشك في جودك بعد أن رأينا ما تصنعه في البستان، فأجابهم: إن ما رأيتم من حرص على مال هو الذي مكنني من تحقيق غرضكم.

أي: أن الاعتدال في الأمور كلها، والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان مواصلة العمل والاستمرار في وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب عاماً وشاملاً لسائر العبادات والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم يدع جانباً من تلك الجوانب إلا ووجّه المسلم إلى الاعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط ولا مغالاة ولا تقصير.

ففي جانب الأكل والشرب قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: 31].

وفي جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالاعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلاً

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 1150)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 1829)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 1642)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 1371)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 3/ 256).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 3389)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3217)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 2/ 158).

ولا مبذراً، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ...﴾ [الإسراء: 29].

وفي جانب العبادة لم يكلف الله الناس بما لا طاقة لهم به قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: 284]، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ. ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»، فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: 285]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾(1) [البقرة: 286].

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم**».

وقد اجتهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في تثبيت منهج الاعتدال في الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصاً منه على استمرارهم في العمل، ورأفة منه ورحمة بهم.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 325)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2992)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 2/ 412).

obeikandl.com

لقد حرص على ترسيخ هذا المنهج المعتدل، حتى إنه كان يترك ـ في بعض الأحيان ـ بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها، فتفرض عليهم، عن عائشة ﵂ قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم، وما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط وإني لأسبحها وهي نافلة الضحى.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة: 128]، ومعنى الآية: إن الله تعالى يمتن على المؤمنين، حيث أرسل إليهم رسولاً من جنسهم وعلى لغتهم، كما دعا إبراهيم ﵇، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 129]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164].

وأنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها؛ لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته، والتيسير عليها ووصولها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا أو مثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة جدة فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء تتبعوني؟ فقالوا: نعم، قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة، وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ فقالوا: بلى فقال: فإن بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه، وحياضاً هي أروى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة: صدق الله لنتبعنه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه».

كل هذا يدل على رأفة الرسول ﷺ ورحمته بأمته، واتباعه معها طريق اليسر والتسامح، فإنه يعز عليه أن يرى شيئاً يشق عليها، أو حرجاً تلاقيه لأنه بعث رحمة للعالمين، وقال ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»، فالرحمة جوهر رسالته، قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، والطريق إلى هذه الرحمة يسير في اتجاهين مستقيمين مستنيرين.

أحدهما: في التيسير في التكاليف والعبادات، والرحمة بالأمة في كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثاني: بدوام العمل والعبادة واستمراره وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم في العبادة وداوم عليها، وإن كانت قليلة داوم الله تعالى بإسباغ رحمته عليه، ورفقه به، ورعايته له وحبه إياه؛ لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى. كما قال الرسول ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**»[1]، أما نتيجة هذا الحب من الله تعالى، فقد بينه فيما جاء في الحديث القدسي: «**. . . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه. . .**»[2]، ومن مظاهر حرص الرسول ﷺ على أمته أمره لهم من جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يتسببون به في الزيادة وما يستطيعون القيام به عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال النبيّ ﷺ: «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم**»، رواه أحمد[3] ومسلم[4] والنسائي[5].

وروى أحمد[6] والنسائي[7] بمعناه: عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، كتب عليكم الحج**»، فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «**لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع**».

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 1827)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 6/ 165).
(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6502).
(3) أخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 1/ 371).
(4) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 3244).
(5) أخرجه **النسائي** في (الحديث: 2618).
(6) أخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 1/ 255) و(الحديث: 1/ 291).
(7) أخرجه **النسائي** في (الحديث: 2691).

obeikandl.com

ومن مظاهر التيسير أن الرسول ﷺ كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سبباً في تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك من توجيهه وإرشاده، فكان ﷺ يتخول المسلمين الموعظة كراهة السآمة، عن ابن مسعود قال: كان النبيّ ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا وكان يخشى إذا استمر في التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه، أو يأخذ التعب طريقة إليهم فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها من التثبيت والتركيز، ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التي استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوي الحكيم.

وحين بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن زوده بالتوجيه الكافي وأمره أن يسير على سنن التدريج معهم فيقول له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك كذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(1).

ويتبادر هنا سؤال هو: أن الله تعالى قد أمرنا بالاقتداء بالرسول ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]، ومن المعلوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل متهجداً راكعاً ساجداً حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله، وحتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، فتقول له في ذلك السيدة عائشة ﵂: أتفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيجيبها: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»(2).

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1395)، و(الحديث: 1458)، و(الحديث: 7371)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 121)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 625) و(الحديث: 2014)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 2434)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1783)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 1/ 233).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 1130)، و(الحديث: 4836)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 7055) و(الحديث: 7056)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 412)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 1643)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1419)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 4/ 251).

وكان يواصل الصيام، والوصال: هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين. فلم لم يكن الاقتداء به في مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتي مثل هذه الأعمال الشاقة؟ وللإجابة على هذا نقول: إن كل حكم يثبت في حق النبيّ ﷺ فهو ثابت أيضاً في حق أمته إلا ما استثنى بدليل كبعض خصائصه ﷺ، فإن خصائص الرسول ﷺ لا يتأسى به في جميعها، وقد توقف في ذلك إمام الحرمين، وقال أبو شامة: ليس لأحد التشبه به في المباح كالزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه، «كالأكل من الصدقة»، ويستحب التشبه به في الواجب عليه كالضحى.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وأما المستحب ـ أي في حقه ﷺ ـ فلم يتعرض له، والوصال منه أي: وصال الصيام من قبيل المستحب في حق النبيّ عليه الصلاة والسلام ـ فيحتمل أن يقال: إن لم ينه عنه لم يمنع الاقتداء به فيه اهـ.

ولعل مراد الحافظ بقوله: «إن لم ينه عنه» أي: بالنسبة لبعض الناس وفي بعض الأحوال وهذا نادر، وأما الأعم الأغلب فهو ما وردت به السنة الصحيحة الصريحة في ذلك من النهي عن الوصال.

روى الإمام البخاري رحمه الله قال: حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرازق، عن معمر، عن همام أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «**إياكم والوصال**» مرتين، قيل: إنك تواصل، قال: «**إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون**»[1].

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ التيسير وعدم التعسير والرحمة بالأمة الإسلامية في سائر التكاليف الشرعية صلاة وزكاة وصياماً وحجاً وما إلى ذلك.

2 ـ أن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها.

3 ـ يقوم منهج الإسلام على الاعتدال في العبادة والعمل دون إفراط أو تفريط.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1966).

قدوم ضمام بن ثعلبة

من قصص السنة الشريفة، قصص الوفود الذين كانوا يقدمون على الرسول ﷺ فرادى وجماعات، قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا الليث، عن سعيد هو المقبري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نصر، أنه سمع أنس بن مالك يقول: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجلٌ على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: **«قد أجبتك»** فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك. فقال: **«سل عما بدا لك»**، فقال: أسألك بربك، ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: **«اللهمّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: **«اللهمّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: **«اللهمّ نعم»**. قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ **«اللهمّ نعم»** فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبه أخو بني سعد(1).

لقد كان قدوم ضمام في سنة تسع، كما جزم بهذا ابن إسحاق وأبو عبيدة وغيرهما. وكان وفوده بناءً على رغبة بني سعد بن بكر الذين أرسلوه إلى رسول الله ﷺ. وصادف مجيئه وسؤاله هوًى في نفوس المسلمين حيث أنهم نهوا عن سؤال ما لا ضرورة إليه. فكان يعجبهم أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأل الرسول ﷺ وهم يسمعون. . ولما جاء ضمام سأل عن الرسول ﷺ قائلاً: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم. فقالوا له: هذا الرجل الأبيض المتكىء.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 63).

ولم يكن الرسول ﷺ أبيض صرفاً. وإنما المراد: الأبيض المشرب بحمرة، كما ورد في صفته ﷺ أنه لم يكن أبيض ولا أدم.

أما أسئلة الرجل: فقد اشتملت على السؤال عن عموم رسالته، وذلك في قوله: آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ ثم عن الصلوات الخمس ثم الزكاة.. وفي رواية الإمام مسلم: سؤاله عن الحج وفيها كذلك ما يدل على حسن سؤاله وترتيبه ومنطقه وعقله. حيث سأل أولاً عن صانع المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولاً للصانع. ثم لما وقف على رسالته وعلمها وأقسم عليه بحق مرسله، وهذا الترتيب في الأسئلة يدل على تفتح عقليته، وقوة منطقه وحكمته.. ففي رواية مسلم أنه قال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أنَّ الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله» قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: «نعم»[1]، لقد وجه الرجل أسئلة تتصل بكتاب الكون المفتوح من أرضه وسمائه وجباله، سائلاً عن خالقها وصانعها مستدلاً من الصنعة على الصانع، ومن الخلقة على الخالق، مصدقاً لما أجابه به الرسول ﷺ. وهذه الأسئلة احتوت أدلة كونية، شاهدة بوجود الله ووحدانيته وقدرته وعظمته، وأنه الذي خلق فسوى وقَدّر فهدى..

وهي أدلةٌ واضحةٌ وضوح الشمس، ويمكن لكل من كان بعيداً عن الإسلام أن يستدل بها على ربه، وأن يدع المكابرة والمراوغة، فهي أدلة مبثوثة في الكون، شاهدة بوحدانية الخالق العظيم.

وفي كل شيءٍ له آية.. تدل على أنه الواحد.

أما قول الرجل: أيكم محمد؟ فقد قيل: إنما لم يقل الرسول ﷺ له: نعم، لأنه لم يخاطبه بما يليق بمنزلته من التعظيم، لا سيما مع قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: 63]، وقال الحافظ ابن حجر: والعذر عنه إن

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 63)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 102)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 619)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 2090).

قلنا: أنه قدم مسلماً أنه لم يبلغه النهي. وكانت فيه بقية من جفاء الأعراب، وقد ظهرت بعد ذلك في قوله: فمشدد عليك في المسألة.

ولما أجابه رسول الله ﷺ عما سأل عنه وشفى قلبه بتثبيت علمه وعقيدته، قال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول مَنْ ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد. وفي رواية أنه قال: وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف راجعاً. فقال رسول الله ﷺ حين ولى: «**إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة**»(1). وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين، ثم أتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا عليه، وكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى، فقالوا: صه يا ضمام، اتق البرص والجنون والجزام، قال: ويلكم، إنما ما يضران ولا ينفعان إن الله بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى في اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً، رواه ابن إسحاق وقال: فما سمعنا بوافد قومٍ أفضل من ضمام بن ثعلبة.

لقد كان الرجل صوت حقٍ وصدقٍ إلى قومه، حيث حمل لهم مشعل النور والمعرفة. بعد أن استقى ينابيع الحكمة والهداية من رسول ﷺ، فثار على الأصنام والمعبودات الباطلة ونشر دعوة الحق في ربوع قومه، حتى تفيّؤوا جميعاً ظلال الإسلام، وسعدوا به ورضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً.

وقد استدل علماء السنة بهذه القصة على القراءة على العالم، فإن ضماماً قال للنبي ﷺ: آلله أمرك أن تصلي الصلوات قال: «نعم»، فهذه قراءة على النبي ﷺ أخبر ضمام قومه بذلك فأجازوه، وفي القصة أيضاً: العمل بخبر الواحد وتأكيد الدعوة إلى دعائم الإسلام من الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج.

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 1/ 250) و(الحديث: 1/ 264).

من أركان الإسلام

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة قال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»(1).

في هذا الحديث يروي أبو هريرة أنَّ أعرابياً من أهل البادية أتى النبي ﷺ وطلب منه أن يوجهه على ما يدخله الجنة من العمل فقال له: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئا**»

والعبادة: هي الطاعة الكاملة مع الخضوع لله سبحانه وتعالى وحده، وإذا كان المراد بالعبادة معرفة الله والإقرار بوحدانيته فعلى هذا يكون عطف الصلاة والزكاة والصوم لإدخالها في الإسلام، وإن كان المراد بالعبادة الطاعة مطلقاً فيدخل فيها جميع أركان الإسلام ويكون عطف الصلاة والصيام والزكاة من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً على شرفه ومزيته.

وإنما ذكر قوله: «**ولا تشرك به شيئا**» بعد العبادة؛ لأن الكفار كانوا يعبدونه سبحانه في الصورة ويعبدون معه أوثاناً يزعمون أنها شركاؤه فنفى هذا.

وإنما اقتصر على الصلاة والصيام والزكاة لكونها من أركان الإسلام وأظهر شعائره والباقي ملحقٌ بها، وقيّد الصلاة بالمكتوبة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، وجاء في الأحاديث وصفها بالمكتوبة وقيّد الزكاة بالمفروضة وهي المقدرة احترازاً من الزكاة للعجلة قبل الحول فإنَّها زكاةٌ وليست مفروضة، وقيل: إنما الفرق بين الصلاة والزكاة في التقييد لكراهة تكرار اللفظ الواحد أو احترازاً عن صدقة التطوع فإنها زكاةٌ في اللغة.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 1397).

وفي إقامة الصلاة قولان:

أحدهما: أداؤها والمحافظة عليها.

الثاني: إتمامها على وجهها.

وفي قوله: «**وتصوم رمضان**» حجة لمذهب الجمهور وهو المختار أنه لا كراهة في قول رمضان من غير تقييد بالشهر خلافاً لمن كره ذلك، وقول الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا أي على المفروض أو على ما سمعت منك؛ لأنه كان وافدهم، وفي رواية مسلم زيادة «أبداً ولا أنقص». فلما أدبر الأعرابي قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[1]، أي: إذا داوم على ما أمر به.

وقد ورد في أحاديثِ أخرى زيادة بعض أمور مثل صلة الرحم، وذلك كما في حديث الأعرابي الذي رواه مسلم في صحيحه قال:

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا موسى بن طلحة قال: حدثني أبو أيوب أنَّ أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفرٍ فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله ﷺ، أو: يا محمدّ، أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه ثم قال: «**لقد وفق ـ أو ـ لقد هُدِيَ**». قال: «**كيف قلت؟**» قال: فأعاد فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة**»[2].

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ أنَّ المبشرين بالجنة أكثر من عشرة وعلى ذلك فتحمل بشارة العشرة على أنهم بشروا دفعةً واحدةً أو أنَّ العدد لا مفهومٌ له.

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 1396)، و(الحديث: 5982)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 104)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 467).

2 ـ الاكتفاء بفعل الواجبات لمن كان حديث عهدٍ بالإسلام لتأليفه فإذا انشرح صدره للإسلام وتعاليمه حرص على ثواب المندوبات؛ لأنَّ تركها نقصٌ في الدين بل إن تركها تهاوناً ورغبةً عنها فسق.

3 ـ أهمية دعائم الإسلام والمحافظة عليها خاصةً توحيد الله والصلاة والزكاة والصيام.

4 ـ توجيه الرسول ﷺ وحكمته العالية في التبليغ ودعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

obeikandl.com